نزعة التفكيك في العمارة

وجذورها التلمودية والقبالية اليهودية

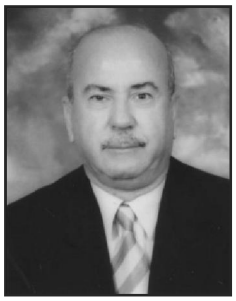

د.م. بديع العابد

معماري استشاري وعميد كلية هندسة العمارة (السابق) - جامعة الإسراء – عمان
نائب رئيس الجمعية الأردنية لتاريخ العلوم
المملكة الأردنية الهاشمية

badi@go.com.jo

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

بديع العابد، نزعة التفكيك في العمارة وجذورها التلمودية والقبالية اليهودية.- دورية كان التاريخية.- العدد الثاني عشر؛ يونيو ٢٠١١. ص ٨ – ١٨.
(www.historicalkan.co.nr)

مقدمة

لقد استقر عند معظم النقاد الغربيين أن مصدر نزعة التفكيك هو اللاهوت اليهودي. وأكثر من ذلك أن المشتغلين بهذه النزعة (التفكيك)، اعترفوا بأن مصدرها اللاهوت اليهودي، وإن أنكر بعض المشتغلين بها من اليهود، يهوديته كدين. فإن اليهودية تبقى المحرك الوجداني لهم جميعاً. فالمصدر اليهودي للتفكيك حاضر وواضح، ولست بحاجة لإقامة الدليل عليه.

الأهداف والمنهجية

تهدف هذه الدراسة إلى توضيح وتفصيل الحضور اللاهوتي اليهودي في الفكر المعماري، الذي تغلغل إلينا من خلال المنتج الثقافي الغربي، فانتشر في ثقافتنا العربية انتشار النار في الهشيم. وذلك في محاولة للتنبيه على العدمية التي يتضمنها التفكيك لتجنبه فكراً وممارسة، ولمنع استقراره كمكون في ثقافتنا وفكرنا المعماري تحديداً. ولتحقيق ذلك سأعرض للتفكيك، ثم للاهوت اليهودي، ثم للمفاهيم اللاهوتية التي وظفها وسوقها المشتغلون اليهود بالتفكيك، ثم لمفردات التفكيك المعمارية، مبينا صلتها بالمفاهيم اللاهوتية اليهودية، حسب ما ورد في المصادر اليهودية والغربية.

التفكيك

من المتفق عليه أن التفكيك لا تعريف[١] له، أي أنه غير مصاغ في منظومة فكرية[٢]، فلا يمكن تصنيفه كحركة فكرية نقدية، أو مدرسة، أو اتجاه، أو طراز معماري، ولا حتى منهج، وهو بالتأكيد ليس نسقاً. لأن هذه المصطلحات والمفاهيم لها بنية فكرية وشروط تكوين وما يصنف تحتها من ظواهر يجب أن يمر بمراحل ثلاث لتشكل بنيتها الفكرية وهي: أن يكون لها بداية، أي مشروع فكري تحت التأسيس، وأن تمر بمرحلة تشكل فكري لهذا المشروع، إلى أن تصل لمرحلة تكوينه، أي بناء الظاهرة أو المنظومة الفكرية. وهذا ما يتجنبه دعاة التفكيك وعلى رأسهم، مبتدع التفكيك، جاك دريدا Jacques Derrida لأنهم يعتمدون على "مفهوم"[٣] (مفردة) "الاختلاف والإرجاء la differance"، فليس ثمة هدف منشود سوى الهدم والتقويض. فالاختلاف يوحي بانعدام المنهج وعدم الرغبة في الوصول إلى نتيجة محددة، والإرجاء يشي بلا نهائية القصد، وبعدم الرغبة في الوصول إليه. لأنه أمر غيبي يتعلق بالإرادة الإلهية اليهودية، طبقاً لزعم التقاليد الدينية اليهودية، وبمجيء "الماشيح" (المسيح اليهودي) المخلص، ونزول الهيكل المزعوم. فمجيء المخلص سينهي الإرجاء، أي سينهي الرحلة اللانهائية للدلالات في تفسير النص أو النصوص، ويستقر المعنى. ونزول الهيكل المزعوم سينهي حالة الفوضى والتخبط وانعدام الشكل في ممارسة عمارة التفكيك وإدراك عناصرها المعمارية، وسيحقق إنتاج "العمارة القادمة، المكتملة التكوين، والمنتظمة الأشكال"، لأنها مرجأة، ولن تحقق إلا بنزول الهيكل المزعوم، حسب زعم دعاة التفكيك المبني على زعم التقاليد الدينية اليهودية، كما سأبين لاحقاً عند الكلام عن مفردات وتقانات التفكيك.

إذن ماذا نسمي التفكيك؟ لنقل توفيراً للوقت: أنه نزعة إنتقامية، تقويضية، تدميرية، هدمية، ترمي إلى الانتقام[٤] من الثقافة المسيحية الغربية وتقويضها بالدرجة الأولى، ثم من الثقافة العالمية ككل. والثقافة العربية الإسلامية ليست استثناءاً، فهي مستهدفة بنفس القدر

بل أكثر، لأسباب تتعلق بالانتماء الديني، وبالصراع العربي الإسلامي من ناحية واليهودي من ناحية أخرى على فلسطين.

إذن التفكيك كنزعة إنتقامية، تقويضية، تدميرية، هدمية، توظف مفاهيم تلمودية قبالية كآليات وتقانات نقدية لتفسير النصوص: الدينية، والأدبية والفكرية، والفلسفية، ونصوص الأدب المعماري، وباقي المنظومات الفكرية، تفسيراً تقويضياً، تدميرياً، هدمياً، للمعاني والمفاهيم التي تتضمنها نصوص المنظومات المشار إليها في محاولة لتدمير النظم العقدية، والعقائدية، والمعرفية، في العالم. وذلك على قاعدة أن النص يجب أن لا يستقر على تفسير محدد، بل إلى تفاسير متعددة، متناثرة ومبعثرة، ولا نهائية. وبتعدد هذه التفاسير تتعدد الدلالات وتبقى الدلالة الحقيقية، أو المعنى الحقيقي، مرجأً لحين مجئ المخلص كما بينت.

وفي العمارة، التي يشهد التقويض والتدمير والهدم في ممارستها، أي إنتاجها، حضوراً أظهر من اللغة، عمد المعماريون اليهود إلى خلق فوضى تركيبية في تكوين الأشكال المعمارية من خلال خلخة دلالات ومعاني العناصر المعمارية المكونة للأشكال، ومن ثم تقويض الأشكال المعمارية برمتها، فحيطان واجهات المباني "مطوية"، وأشكال الفتحات غير منتظمة، وأعمدة المباني معلقة وفي بعض الأحيان لا تصل الأرض، وأشكال المباني ككل تظهر وكأنها ركام ناتج عن دمار.

ونزعة التفكيك هذه يهودية المنشأ، ابتدأت في النقد الأدبي على يد اليهودي دريدا، وعرجت على العمارة وروج لها مجموعة من المعماريين اليهود الأمريكيين، أخص منهم: بيتر أيزنمان Peter Eisenmon، وفرانك جيري Frank Gehry، برنارد تشويمي Bernard Tschumi، دانيال ليبسكايند Danial Libeskind، وستانلي تايجرمان Stanly Tigerman، وغيرهم الكثير. وانضم لهذه الجوقة الكثير من المعماريين الغربيين، والعرب من راكبي الموجات ومتبني الصرعات الغربية ومجتري المعرفة. ولكن هذه المرة الصرعة يهودية مرتبطة بالوعود الإلهية المزعومة، والعمارة القادمة (المنتظرة والمرجأة) The Architecture of Becoming.

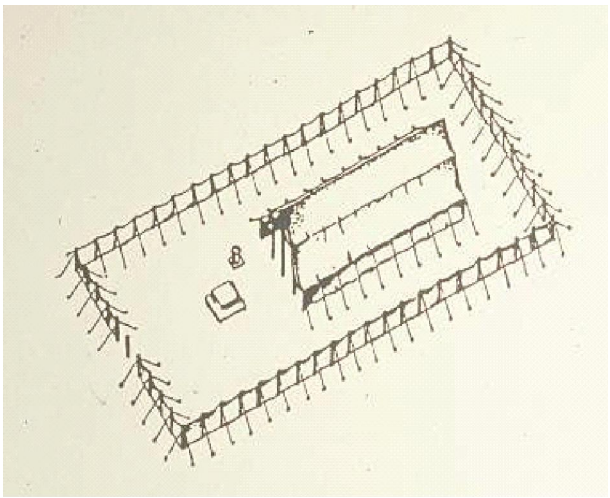

صورة (رقم – ١)
تصور لخيمة الاجتماع – المعماري الفرنسي لوكوربوزييه
عمارة اللامكان – عمارة الطوي – العمارة اللاصنمية – طبقا لنزعة التفكيك

ولقد وظف دريدا والمعماريون اليهود هذه المفردات المتوطنة[٥] في المفاهيم اللاهوتية اليهودية، كمفاهيم علمانية، حيث وجدت من يضعها، من بعض المتحمسين من النقاد الغربيين، في السياق التاريخي للعلمانية. واللافت أنه لم يتم الكشف عن يهوديتها إلا بعد أن استقرت في وجدان المشتغلين بالنقد والعمارة كمفاهيم علمانية. أما بالنسبة للمعماريين، وعلى الرغم من الإعلان عن يهوديتها مبكراً كما سأوضح لاحقاً، إلا أنها ما زالت توظف في الممارسات المعمارية خاصة في عالمنا العربي. وسأعرض لهذه المفردات وأبين أصولها اليهودية بعد أن أعرض للدين اليهودي وأبين موقع هذه المفاهيم، التي وظفت كمفردات، فيه فيما يلي من عرض وتحليل.

الدين اليهودي

اليهودية دين سماوي توحيدي[٦]، لكنه غير متجانس نظراً لاستيعابه عناصر دينية وطقوس عبادة بعض الحضارات التي تعايش معها اليهود: كالمصرية القديمة، والكنعانية، والبابلية. ونظراً لكثرة الخلاف بين أتباع هذا الدين وتعدد فرقهم ومذاهبهم. كما أن التناخ، الأسم العبري للعهد القديم، وهو اختصار لثلاثة كلمات عبرية هي: التاء من توراة، والنون من نفييم، أي الأنبياء، والخاء من ختبيم أي الكتب، يتضمن نصوصاً تنفي صفة التوحيد عن الدين اليهودي وكذلك التلمود. وسأعرض للخطوط الجامعة لهذا الدين وللمفاهيم التي تشكل مصدراً للتفكيك.

من المتفق عليه وطبقاً للرؤيا اليهودية الحاخامية التلمودية أن النبي موسى تلقى توراتين[٧] أو شريعتين: مكتوبة وشفوية. والتوراتان أو الشريعتان تمثلان الأسفار الخمسة التي نزلت على النبي موسى. والتي تشكل القسم الرئيس من التناخ الذي يتكون في مجمله من ٣٩ سفراً، وهي: أسفار التوراة الخمسة، وأسفار الأنبياء الرئيسيين والثانويين وعددها ٢٣ سفراً، والأسفار التاريخية وعددها ١١ سفراً. ولقد تبنته الكنائس المسيحية الرئيسية الثلاث: الأرثوذكسية، والكاثوليكية، والبروتستنتينية، بعد أن زادت عليه الكنيستين الأوليتين ٧ أسفار، تعرف بالأسفار المنحولة، ليصبح عدد أسفاره ٤٦ سفراً، أما البروتستنتينية فتبنته كما هو عند اليهود، أي لم تزد عليه أي سفر آخر.

أما الشريعة الشفوية[٨] فهي (الأسفار الخمسة التي تلقاها الحاخامات من النبي موسى) وشرحوها ودونوا شروحاتهم في التلمود[٩]، الذي يتكون من: المشناة، والجمارة. والمشناة هي تفسير وشروحات التوراة، والجمارة هي تتمة التفسير والشروحات. والحاخامات يعطون لأنفسهم سلطة وقداسة تتساوى بل تفوق سلطة الإله، وهذا النوع من الحلول يعرف بالحلول الواحدي[١٠] الذي يساوي بين الخالق والمخلوق، بل يتفوق المخلوق على الخالق قدرة. ولهذا جعل بعض الحاخامات من المشناة مرجعاً أقوى من التناخ (الوحي الإلهي)، لأن المشناة صورة متأخرة للشريعة، جاءت متأخرة عنها، على حد زعمهم. ثم تعاظم مفهوم الحلولية[١١] ليحل الإله في الإنسان ثم يحل في بعض الظواهر الطبيعية، ثم يحل فيها جميعاً، حتى يصبح حالاً في كل شيء (الإنسان والطبيعة) وأنه، أي الإله، لا وجود له خارجها، لكنه يظل محتفظاً باسمه. وهذه الظاهرة تعرف "بحلولية شحوب الإله". حيث تمحى الثنائيات، مثل: المقدس والمدنس، الخير والشر، الفضيلة والرذيلة... الخ، ولا يبقى منها سوى الظلال أو الآثار والألفاظ. ثم تمحى الثنائيات تماماً ويختفي الإله، في

"حلولية موت الإله" كما هو الحال في الحلولية الصهيونية[١٢] باتجاهها العلماني الوثني التي تحل فيه الذات القومية محل الذات الإلهية. وضمن هذين الحلولين يظهر الحلول القبالي[١٣] Kabala الذي يساوي بين الخالق والمخلوق. وفرقة القبالاة ظهرت في القرن الثاني عشر وسيطرت على المشهد الديني اليهودي في منتصف القرن السابع عشر، فشكلت الخلفية الدينية اليهودية في عصر الاندماج، وهو عصر التنوير الأوروبي[١٤] الذي سمح لليهود بالخروج من الغيتو والاندماج بالمجتمعات الأوروبية الغربية والإسهام في نهضتها الحضارية.

ولقد لعب المفكرون اليهود دوراً مميزاً في علمنة[١٥] الفكر الأوروبي مستندين إلى تجربتهم الحلولية الغنوصية التي تتحرر من قدرات الإله وسيطرته على الكون، وتساوي بينه وبين المخلوق. وكان يحفزهم في هذا الأمر مجموعة عوامل أهمها: رغبة النخبة الأوروبية في التخلص من سلطة الكنيسة، والرغبة اليهودية في التميز المصحوبة بشهوة الانتقام من المجتمعات الأوروبية التي اضطهدتهم طوال فترة الشتات. وسبب ثالث هو الحضور اليهودي في اللاهوت المسيحي، فالعهد القديم يشكل إلى جانب العهد الجديد الكتاب المقدس الذي يؤمن به المسيحيون، وسبب رابع هو ظهور الرأسمالية الأمريكية التي تبنت العلمنة ونحت الكنيسة، فأتاحت فرصة لليهود لنشر أفكارهم والترويج لها بحرية أكبر لتساوقها مع المفاهيم العلمانية. كما أن الكنيسة البروتستنتينية، وهي الأقوى حضوراً في الولايات المتحدة متحالفة مع اليهود، وتحديداً مع الاستيطان اليهودي في فلسطين، التي تتوافق مع رؤيا يوحنا اللاهوتي في العهد الجديد، التي تشترط وجود اليهود في فلسطين لمجئ "الميسيا" (المسيح المسيحي) لتحقيق الخلاص بعد انتصاره في معركة هرمجدون على قوى الشر.

ضمن هذا النشاط الفكري طرحت اليهودية نزعة ما بعد الحداثة[١٦]، التي مهدت بها لنزعة التفكيك، التي بدأت في النقد الأدبي في ستينيات القرن الماضي، وفي العمارة بعدها بعقدين من الزمان، أي في ثمانينات القرن الماضي. مستندة في ذلك إلى الطروحات الحلولية اليهودية وأهمها الطرح القبالي، الذي يقرب المسافة بين الإنسان والخالق إلى حد إلغاء الخالق. وهذا يلتقي مع الطرح الصهيوني في لاهوت موت الإله الذي يقابله "لاهوت البقاء"، أي بقاء "الشعب" اليهودي.

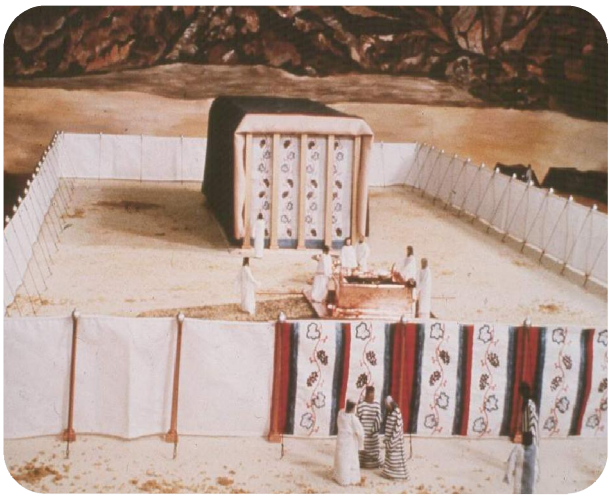

صورة (رقم – ٢)

تصور لخيمة الاجتماع – المعماري اليهودي لين ريتمير

عمارة اللامكان – عمارة الطوي – العمارة اللاصنمية – طبقا لنزعة التفكيك

الطرح القبالي يعتبر التوراة مخطط الإله للخلق[١٧]، وكل كلمة فيها تمثل رمزاً، وكل علامة أو نقطة تحوي سراً داخلياً، ومن ثم تصبح النظرة الباطنية الوسيلة الوحيدة لفهم أسرارها.وطبقاً للقبالاة فإن التوراة كتبت بنارٍ سوداء على نارٍ بيضاء[١٨]، وإن النص الحقيقي هو المكتوب بالنار البيضاء. وهذا يعني أن التوراة الحقيقية مختفية لا يدركها ولا يستطيع قراءتها سوى كبار المفسرين. كما يقول القباليون أن الأبجدية العبرية تنطوي على معان خفية، لا يعرفها إلا الخبيرون بالقبالاة. وبذلك تصبح كلمات التوارة مجرد علامات أو دوال، تشير إلى قوى ومدلولات كونية وبنى خفية يستكشفها مفسر النص ويشكلها حسب هواه، فالتوراة بها ٦٠٠,٠٠٠ معنى أو وجه. والمفسر يستنطق ويفسر التوراة حسب ما يريد من مدلولات. وهذا يعني موت النص، وسيطرة المفسر، ومولد الناقد وهيمنته، واختفاء الحدود، وتلاشي المقدس، ولا نهائية الدلالات. وهذا أكبر مصدر للتفكيك، فمن هنا جاءت المفردة الفرنسية la differance التي نحتها دريدا، والتي تعني (الاختلاف والإرجاء)، لأن كل دال يختلف عن الدال الآخر ومع هذا فهو على صلة مع كل الدوال الأخرى، إلا أن معناها النهائي مرجأ، لكن آثاره قائمة، فهو حاضر غائب، ومن هنا أيضاً جاءت مفردة الآثر Trace في التفكيك. كما يمثل الموقف القبالي مفهوم الحاضر الغائب The Presence Absence. وهذه نفسها تمثل جزءاً من مفردات التفكيك بالعمارة فالأشكال المعمارية يجب أن تكون مختلفة، تمثل الحاضر الغائب بأشكالها المختلفة غير المنتظمة التي ستنتظم في مرحلة لاحقة، وهي ما يسميها المعماري اليهودي بيتر أيزنمان "بالعمارة القادمة أو المنتظرة" The Architecture of Becoming. التي ستكتمل عند نزول الهيكل المزعوم من السماء، حسب نبؤة حزقيال. وتتواصل القبالاة في طرحها الحلولي[١٩] لتشخص الواقع اليهودي، وعلاقة اليهود بالإله اليهودي ضمن ثلاثة مراحل وهي:

الانكماش	تهشيم الأوعية	الإصلاح
Tizm Tzum	Chevirat Hakelim	Tikkun
Contraction	Breaking The Vessels	Restoration
وحدة الإله مع "شعبه"	الشتات اليهودي	إعادة وحدة الإله و"شعبه"

١- فالحالة الأولى، الانكماش[٢٠]، تسيم تسوم Tizm Tzum

كما وردت في المدراش، قبل القبالاة، تعني انكماش الإله حتى يدخل غرفة قدس الأقداس في الهيكل المزعوم، حيث يخترق السقف من لا فتحة، ثم يجلس على مقعد الرحمة الذي هو غطاء تابوت العهد ليسكن مع "شعبه". ثم وسع اسحق لوريا Isaac Lauria في القبالاة هذا المدلول الحلولي، ليصبح الانكماش هو انكماش الخالق إلى نقطة داخل نفسه، ثم تصدر عنه التجليات النورانية العشرة[٢١] وتتم عملية الخلق. ومن منظور لوريا القبالي أن الخالق كان يملأ الوجود، باعتبار أن الذات الإلهية لا نهائية ولا تقبل التجزئة، ولكي يتم الخلق كان لا بد أن تنكمش هذه الذات لتسمح بمكان للكون وموجوداته من المخلوقات، وهذا في رأيي يمثل عقدة المكان عند اليهود.

وهناك رأي آخر يذهب إلى أن الأنكماش هو محاولة من جانب الخالق لا لخلق فراغ وحسب، وإنما لتطهير ذاته التي كانت تضم عناصر غير إلهية، وأن عملية توحد الذات الإلهية وتخليصها مما بها من أدران ما هي إلا عملية تاريخية تستكمل في نهاية التاريخ، وهذا يتصل

بمفردة الإ رجاء في التفكيك. كما أن الانكماش في التفكيك يمثل الاختفاء أو الغياب الكامل للإله الذي يعقبه الحضور الكامل وصدور التجليات النورانية. فالانكماش (التسيم تسوم) تمثل مفهوم الحاضر الغائب في اللاهوت اليهودي التي يشكل بدوره مفردة أساسية في نزعة التفكيك. ويعقب حالة الانكماش هذه حادثة تهشيم الأوعية، التي ستكون موضوعنا التالي.

٢-تهشيم الأوعية، شفيرات هيكليم[٢٣]، Chevirat Hakelim

وهو مفهوم أساسي في القبالة، وتقع هذه الحادثة أثناء عملية الخلق، حيث تخرج من عيون الإنسان الأصلي أشعة النور الإلهي على شكل شرارات كان من المفترض جمعها في أوعية، لكن هذه الأوعية كانت أضعف من أن تتحمل هذا النور، فتهشمت وتناثرت وتبعثرت.

هذه الحادثة فكرة حلولية ترمز إلى الشتات اليهودي. وهي الحالة التي يريد دريدا وغيره من النقاد والمفكرين والمعماريين، اليهود فرضها على البشرية من خلال التفكيك، إنتقاماً من الإله "المسؤول عن تشريدهم وتشتيتهم"، وانتقاماً ممن ساهم أو سكت عن تشتيتهم. ومن هنا جاءت مفردة الإرجاء في التفكيك، وارتبطت بانتهاء حالة الشتات والتئام شمل اليهود في فلسطين بمجئ "الماشيح" (المسيح اليهودي) المخلص، عندما يحل الإنسان اليهودي في الإله ويسيره طبقاً لرغباته. هذا المفهوم الحلولي أخذ صورة أكثر إغراقاً في الحلولية عند الحركة الصهيونية التي تتبنى حلولية "شحوب الإله" حيث يتوحد الإله مع المادة ("الأرض المقدسة — الشعب المقدس") ثم يضمر ويشحب ويصبح لا أهمية له، لتنتهي حلولية الصهيونية بدون إله، ومن هنا جاءات العلمانية الصهيونية التي تحالفت مع العلمانية الأوروبية والرأسمالية الأمريكية. والصهيونية هي التي أخذت على نفسها تحقيق (الخلاص) فعهدت لنفسها القيام بدور البقية الصالحة المناط بها تحقيق عملية إصلاح الخلل الكوني الناتج عن تهشيم الأوعية والمعروفة بالتيقون (الإصلاح) التي ستكون موضوعنا التالي.

٣-إصلاح الخلل الكوني — التيقون Tikkun

إصلاح الخلل الكوني[٢٤] أو الخلاص في الغنوصية (الحلولية) هو عودة الإنسان باعتباره شرارة إلهية إلى الواحدية الإلهية، وعودة الشرارات هو كمال للذات الإلهية وخلاص لها، لأن الإله مشتت كاليهودي طبقاً للقبالة، ولأن في خلاص الإنسان خلاص للإله. وهذا أيضاً مفهوم الخلاص أو الإصلاح عند القبالة، أي عودة الإنسان إلى بداياته النورانية وعودة "الشعب" اليهودي إلى أرض الميعاد والتحامه بها. وهي عودة تعني أن الإله ينهي حالة تناثره وتبعثره ويعود لوحدته الأصلية. وهذا بدوره يمثل الحلولية القبالية التي يحل فيها الإنسان في الإله، ويسير فيها الإنسان الإله طبقاً لرغباته.

والخلاص عند الغنوصيون لا يتم بالتوبة والغفران وإنما من خلال البحث عن الصيغ السحرية المناسبة، فلا وجود للأخلاق في عالم الخلاص. وتتبنى القبالاه هذا المفهوم، فهي تهدف إلى حل الطلاسم وكلمات التوراة بالجيماتاريا[٢٥] Gematria (أو الجمترة كما يسميها السمرة في مدينة نابلس في فلسطين- وهي نظام يحدد قيمة رقمية لكل حرف في اللغة العبرية) للوصول إلى الخالق، وإلى التوراة الخفية، أي الغنوص الذي عن طريقه يمكن التحكم في العالم. والإصلاح يتم من خلال إتباع اليهود الأوامر والنواهي التي تحولت إلى شعائر مجردة تشبه التعويذات، وما يهم فيها هو طريقة أدائها لا مضمونها الأخلاقي. لأن المضمون الأخلاقي طمس تماماً وحل محله مضمون بغير أخلاق. فالإصلاح يهدف إلى تقريب اليهود إلى الخالق للتوحد معه لكي يصل إلى وحدته لكي يتم التحكم فيه وتوجيهه ليتحقق الخلاص. وهذا يعني:

١- أن الإرجاء قائمٌ ما دام الخللُ الكونيُّ قائماً

٢- وأن لا نهائية عالم الدلالات قائمة ما دام الخلاص غير محقق.

٣- وأن المعنى لن يكتمل ما دام الإله مبعثراً وغير متحدٍ.

٤- وأن العمارة تبقى فاقدةً لتمامها، واكتمالها، وانتظام شكلها، ويقينيتها، حتى يتحقق الخلاص وينزل الهيكل المزعوم كما (الصورتين رقم: ١٢-١٣) في المكان الذي يحدده الإله.

عندها ينتهي الشتات، ويعود الوضع إلى المرحلة الأولى، مرحلة الإنكماش، التي تمثل الاستقرار. وبنزول الهيكل المزعوم يتحدد المكان، ويكتمل الشكل، فتنتهي حالة "الطوي والفوضى التركيبية في العمارة"، ويتحد الإله مع "شعبه" أي مع اليهود. (الطوي يعني ثني خيمة الاجتماع — معبدهم المتنقل في التيه — ونقلها من مكان إلى آخر — كما في الصورتين رقم: ١-٢)، وتنتهي كذلك حالة التناثر والبعثرة والفوضى التركيبية في الأشكال المعمارية. فالخلاص هو الاستقرار في المكان وارتباط الإنسان به. وهذه الحالة لا يعرفها اليهود، لأن التوراة نزلت في لا مكان، واليهود على مدى تاريخهم، إن كان لهم تاريخ، لم يستقروا في مكان، فلم يحققوا أي حضور جمعي ودائم في المكان، حتى أنهم لم يتركوا أي أثر Trace في أي مكان. فخيمة الاجتماع تطوى وتتنقل معهم في حلهم وترحالهم، وهيكلهم المزعوم ليس سوى نبؤة[٢٦]، لا وجود له على أرض الواقع، ومن ثم فلا آثر له. فعمارة الهيكل المزعوم حاضرة في آمالهم وأذهانهم كنبؤة، وغائبة كحقيقة مادية وميتافيزيقية، ولن تتحقق إلا بالخلاص الموعود. وبصرف النظر عن صحة أو وهم الخلاص، فالعمارة كحقيقة مادية وميتافيزيقية في النزعة التفكيكية التدميرية التقويضية الهدمية اليهودية، حالة مرجأة، منتظرة وقادمة. ومن هنا نحت المعماري اليهودي الأمريكي بيتر أيزنمان مفردة "العمارة القادمة"[٢٧] The Architecture of Becoming.

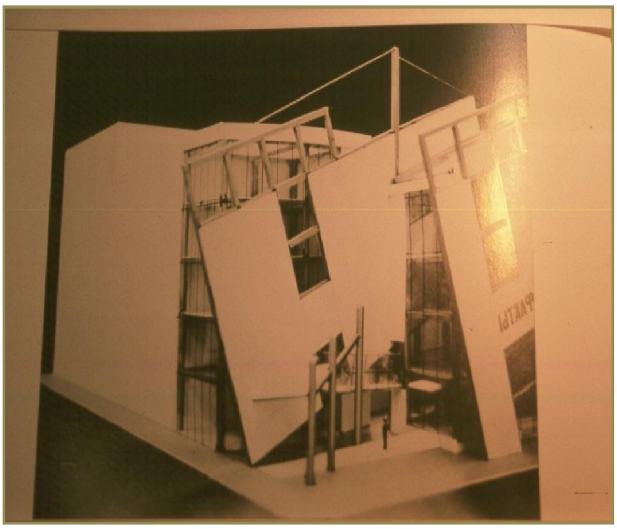

صورة (رقم — ٣)

بيت من تصميم المعماري لابيت— محاولة مبكرة للتفكيك تظهر بعض تقانات التفكيك كالطوي والعلاقة بالمكان والجادبية وبين البينين

كما أن باقي المفردات التي وظفها دريدا في النقد الأدبي ، والتي أشرت لبعضها سابقاً ، مستقاة من اللاهوت لليهودي ، وأكرر هنا مفردة الآثر المرتبطة بالنص في النقد الأدبي ، وبشكل المباني والأماكن التي تتموضع عليها في العمارة. وتفكيك العمارة يفرض اختصار حضورها ، وحضور عناصرها المكونة لها ، في المكان إلى آثر ، كما سأبين عند عرضي لمفردات التفكيك في العمارة التي تداخلت مع مفردات النقد الأدبي التدميري التقويضي الهدمي. هذه النزعة ، أي التفكيك ، تمثل حقيقة معاشة في الوجدان اليهودي. فالمراحل الثلاث تحدد علاقة اليهود بالإله من وجهة نظر فرقة القبالاه. فمرحلة الانكماش تمثل وحدة الإله مع "شعبه" أي اليهود. والمرحلة الثانية تهشيم الأوعية ، ترمز إلى غضب الإله على "شعبه" وتخليه عنهم والتسبب في تشتيتهم ، عقاباً لهم على عصيانهم. والمرحلة الثالثة ، الإصلاح تمثل حالة مرجأة لإعادة ترتيب العلاقة بين الإله واليهود طبقاً لأنساق حلولية متعددة ، أقواها وأظهرها حضوراً الحلولية القبالية ، التي تقول بوجود بقية صالحة[٢٨] في اليهود ستقوم بترميم العلاقة بين اليهود وإلههم ، ولكن بعد تجريده من قدراته وتمكين اليهود من استغلالها لصالحهم وتوظيفها لتحقيق الخلاص.

واللافت للنظر أن الحركة الصهيونية تبنت مفهوم البقية الصالحة ، وأخذت على عاتقها تحقيق الخلاص ، بعد أن تبنت: لاهوت موت الإله أو يهودية بدون إله ، والمفهوم الداروينيّ[٢٩] "البقاء للأصلح" النابع أصلاً من المفهوم اليهودي للبقية الصالحة. وعمدت إلى تنفيذ مخطط الخلاص والعودة إلى فلسطين ، دون أي اعتبارات أخلاقية أو أي التزام بالمواثيق والشرائع الدولية ، وخلافاً للفرق اليهودية الأرثوذكسية كناطوري كارتا التي تنتظر مشيئة الإله لتحقيق الخلاص ، وإعادة وحدة الإله مع "شعبه" ، والجدير بالملاحظة هنا أن الإله في الدين اليهودي إلهاً حصرياً[٣٠] ، أي خاص باليهود فقط ، "فهم رضوا به إلهاً وهو رضي بهم شعباً".

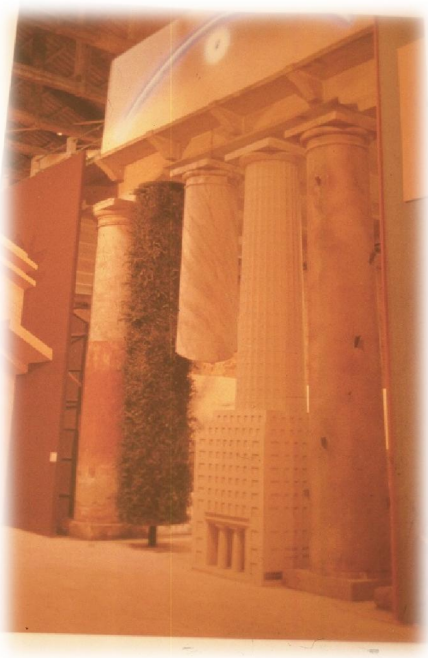

صورة (رقم – ٤)
عمود معلق بالسقف وآخر على شكل شجرة – محاولة مبكرة للتفكيك تظهر بعض تقانات التفكيك كالحاضر الغائب ، وتعدد الدلالات وإنهاء الرمز

وضمن هذا التناقض في تحقيق الخلاص ، وتحقيقاً للرغبة اليهودية في الانتقام من مضطهديهم ، فإن نزعة التفكيك تكون قد دمرت وقوضت ثوابت منظومة الإيمان وما تتضمنه من قيم وأخلاق ومعانٍ ، واختزلت العمارة إلى أثر وأفرغتها من حقيقتها المادية والميتافيزيقية. وسأعرض فيما يلي لمفردات التفكيك مبيناً جذورها اللاهوتية اليهودية ، التي أشرت لبعضها سابقاً في هذه الدراسة.

مفردات التفكيك المعمارية

ابتداءً يتوجب التنويه أن القسم الأكبر من هذه المفردات موظف في النقد الأدبي ، مع استثناءات محددة اقتصرت على العمارة. وعلى الرغم من توضيحي ، فيما سبق من عرض وتحليل ، للجذور اللاهوتية اليهودية لنزعة التفكيك ومفرداتها ، إلا أن المعماري اليهودي الأمريكي ستانلي تايجرمان Stanly Tigerman عرض للنزعة التفكيكية وبين أصولها اللاهوتية اليهودية بمراحلها الثلاث التي عرضت لها سابقاً ، نقلاً عن الناقد اليهودي الأمريكي هارولد بلوم Harlod Bloom ، الذي عرض لها في كتابه القبالاة والنقد *Kabala & Criticism*. ولقد ألبس تايجرمان هذه المفاهيم مفردات معمارية ونشرها في مقال[٣١] بعنوان: البناء ، التفكيك ، إعادة البناء Construction (De) Construction (Re) Construction ، والمراحل الثلاث ورديفاتها من المفردات المعمارية التي توضح الجذور اللاهوتية اليهودية طبقاً لفرقة القبالاة هي:

الانكماش	تهشيم الأوعية	الإصلاح
Member	(Dis) Member	(RE) Member
Construction	(de) Construction	(re) Construction
وحدة الإله مع "شعبه"	الشتات اليهودي	إعادة وحدة الإله مع "شعبه"
وحدة الظاهرة (العمارة)	التفكيك (تفكيك العمارة)	إعادة وحدة الظاهرة

ومن مرحلة الشتات انبثقت النزعة التفكيكية كما بينت ونحتت مفرداتها النقدية والمعمارية. والجدير بالذكر أنه قبل التفكيك كان للشتات حضور في الحياة اليومية اليهودية فرضه حاخامات التلمود كممارسات[٣٢] يلتزم اليهود بتطبيقها لتذكيرهم "بدمار القدس" المرتبط بالشتات ، وهذه الممارسات تنص على الآتي:

١- إذا بنى اليهودي بيتاً يتوجب أن يترك مساحة ذراع مربع عند المدخل بدون قصارة ودهان. وإذا كان مستأجراً يتوجب عليه أن يدهن أو يصبغ ذراع مربع عند المدخل باللون الأسود. وقد طبق هذا الطقس في الكنس اليهودية أيضاً ولكن على الحائط الغربي بها ، للتذكير بدمار القدس المصاحب للشتات.

٢- إذا عمل اليهودي وليمة عليه أن يقدم بها طبقاً مالحاً أو حامضاً للتذكير بدمار القدس.

٣- على كل يهودية تتزين بالمجوهرات أن تكسر بها فصاً للتذكير بدمار القدس.

٤- وفي عقود الزواج بمدينة البندقية كان يكتب بها طبقاً لتعليمات الحاخامات اليهود: "سأضع القدس فوق متعتي الشخصية" ، إضافة إلى المزمور رقم ١٣٧ الذي يقول: "إن نسيتك يا أورشليم

تنسى يميني ، ليلتصق لساني بحنكي إن لم أذكرك ، إن لم أفضل أورشليم على عظيم فرحي ...".

هذه الممارسات أسهمت بنزعة التفكيك على المستوى اليهودي ، فحضور الشتات في الوجدان اليهودي يجب أن يضل قائماً لإبقاء فكرة الخلاص قائمة ، ولتأجيج شهوة الانتقام. هذان العاملان وظفا في عصر التنوير الأوروبي الذي سمح لليهود بالاندماج في المجتمعات الأوروبية الغربية والإسهام في ثقافتها وثورتها العلمانية ضد الكنيسة والدين ، وقد أسفرت جهود اليهود عن خلق النزعة التفكيكية ونحت مفرداتها[٣٣] التالية:

١-المكان (ماقوم) Place
٢-الاختلاف والإرجاء Ladifferance
٣-الشتات Diasporic existence
٤-المقدس The holy — das Heilige
٥-الصنمية Idolization
٦-الإزاحة Dislocation
٧-الطوي Folding
٨-اللامادية-البعثرة Dematerialization
٩-الآثر Trace
١٠-الآلية (التراتبية) The Machinic
١١- العدمية الباطنية Mystical Nothingness
١٢-بين البينين The Interstitial - In Between
١٣-الضبابية Blur
١٤-نصية العمارة -تحويل العمارة إلى نص Textuality
١٥-القراءة الخلاقة Creative reading
١٦-الحاضر الغائب The Presence Absence
١٧-العمارة القادمة ، The Architecture of Becoming

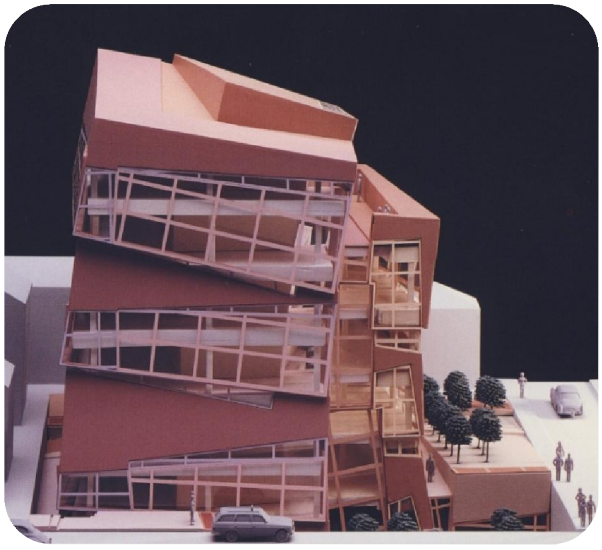

صورة (رقم - ٥)
مجسم لمكاتب شركة نيونتاني— طوكيو اليابان ١٩٨٩— للمعماري الأمريكي اليهودي بيتر أيزنمان ، محاولة جريئة لتطبيق نزعة التفكيك على مباني التعليمية وظف فيها جميع تقانات التفكيك مع التركيز على تقانة الطوي واللاصنمية

هذه المفردات ذات المصدر اللاهوتي اليهودي (نحتث على يد دريدا في بدايات ستينيات القرن الماضي ووظفت في النقد الأدبي ، ثم وضفت في الأدب المعماري لتفسير الممارسات المعمارية في ثمانينيات القرن الماضي وحتى الآن ، حيث كان المعماريون اليهود يسيطرون على المشهد المعماري في الولايات المتحدة) متداخلة ببعضها البعض. وتوظف كتقانات وآليات تقويض وهدم ، ضمن بنى وتراكيب المنظومات: الدينية ، والأدبية ، والفكرية والفلسفية ، والمعمارية من قبل المختصين اليهود ، ومن تبعهم في المراحل اللاحقة ، (والصور رقم: ٣-١١) توضح تطبيقات متباينة ومختلفة لهذه المفاهيم.

واللافت أنه في بداية نحثها وتوظيفها معمارياً من قبل اليهود استفزت بعض المعماريين الأوروبيين والأمريكان غير اليهود ، ففي حوار بين المعماري اللكسمبوري ليون كراير Leon Krier وبيتر أيزنمان ، بدأ الأول الحوار[٣٤] بالإعراب عن أن الأوضاع المعمارية الحاضرة (الثمانينيات من القرن الماضي) تعاني من غموض في مفردات الأدب المعماري وفوضى سائدة ومنتشرة في دلالاتها وحمولاتها من المعاني تقف في طريق وضوح التفكير المعماري والبيئي. وسأقتبس النص[٣٥] باللغة الإنجليزية:

" At present, [a] lack of clarity in vocabulary, a confusion of terms and the wide spread use of strictly meaningless jargon stand in the way of clear architectural and environmental thinking ...".

هذا حدث قبل أن يعلن عن يهودية هذه المفردات في الأدب المعماري بينما كان الإعلان عنها مبكراً في النقد الأدبي ، فهارولد بلوم نشر كتابه القبالاة والنقد Kabala & Criticism سنة ١٩٧٥ ،حيث وضح فيه الأصول القبالية اليهودية لهذه المفردات. وسأوضح فيما يلي التداخل بين هذه المفردات.

فالمكان[٣٦] (ماقوم) بالعبرية يختلف في مدلوله ومعناه عن الكلمات التي تعني مكان في اللغات الأخرى. فالمكان في التقاليد اليهودية يوجد في كل مكان ، ويعني كل مكان ، ولا يعني مكان محدد بعينه ، لأنهم بدو رحل ولا جذور تربطهم بالمكان. فمن آور بالعراق ، إلى فلسطين ، ثم إلى مصر ، ثم إلى فلسطين ، ثم إلى شتات دائم وقائم حتى يومنا الحاضر ، فالصلة بين الروحي والفراغي مقطوعة كلياً ، فالتوراة نزلت في لا مكان ، وبالتالي لا قدسية للمكان في التقليد اليهودي.

ومن هنا جاء الصراع بين اليهود الأرثوذكس ، ومنهم فرقة ناطوري كارتا وبين الصهيونية على قدسية مدينة القدس وتحديداً على قدسية حائط البراق. فينما ترى فرقة ناطوري كارتا أن قدسية المكان ستحقق في مرحلة لاحقة وبمشيئة إلهية ، تأخذ الصهيونية على مسؤوليتها تحقيق قدسية المكان وعدم انتظار "الماشيح" ونزول الهيكل المزعوم. وما بين الغياب المطلق لقدسية المكان والحضور المنشود لها ، نرى فرقة المدراش تقول بحضور وغياب قدسية المكان ، مستندة في ذلك إلى سفر نشيد الإنشاد ، (٢-٩): "هو ذا واقف وراء حائطنا يتطلع من الكوى ، يوصوص من الشبابيك". وقد فسروا "هو" بالإله ، و"الحائط" بحائط البراق. ومن هنا جاءت قدسية المكان عند حاخامات المدراش والتلمود ، ومن هنا أيضاً جاء مفهوم الحاضر الغائب في اللاهوت اليهودي الذي شكل مفردة تفكيكية سأعرض لها لاحقاً ، فالقدسية

مجتزأة ، وبلا مكان ، لأن حائط البراق[٣٧] ليس بمكان ولكنه مجاور "لمكان كان مقدساً" وهو الهيكل المزعوم ،حسب الزعم اليهودي ، وفي كل الأحوال فإن قدسية المكان مرجأة ومنتظرة ، لحين مجيء المخلص ونزول الهيكل المزعوم.

وأما القبالاة ، التي هي مصدر نزعة التفكيك ، فرؤيتها للمكان وقدسيته أكثر جزئية ، وترى أن الصلاة عند حائط البراق تصل بسرعة أكبر إلى الإله ، الذي كان حاضراً في المكان المجاور لحائط البراق. ومن هنا تعزز مفهوم الحاضر الغائب[٣٨] في اللاهوت اليهودي ، وعليه فالعلاقة بالمكان وقدسيته مرجأة أيضاً ، خلافاً للصهيونية كما وضحت سابقاً. ولقد تمخض عن هذا المفهوم اللاهوتي المختلف والمرجأ للمكان وقدسيته مفردات التفكيك التالية: المقدس ، والصنمية ، الطوي ، واللامادية ، الأثر ، وباقي المفردات.

فالصنمية[٣٩] في العمارة رؤيا تفكيكية لعلاقتها بالموقع ، أي بالمكان ، فارتكاز المباني على الأرض تمثيل للصنم المرتكز على الأرض ، والأصنام والأيقونات محرمة في الدين اليهودي ، وارتكاز خيمة الاجتماع (مبنى العبادة اليهودي في التيه وحتى عهد النبي سليمان) ما هو إلا ارتكاز مؤقت على الأرض. فالخيمة مثبتة بحبال مربوطة بأوتاد مغروزة بالأرض ، فارتباطها بالمكان مؤقت وغير دائم. فالأوتاد تخلع من الأرض في أي وقت ، والخيمة تطوى[٤٠] وتنقل من مكان إلى آخر ، فيختفي أثرها[41] ، فليس لها أساسات تجذبها إلى الأرض وتبقيها ماثلة كبرج بابل ، الذي يمثل قمة الصنمية عند اليهود ، لمتانة ارتباطه بالأرض ، مقابل هشاشة ارتباط خيمة الاجتماع بالأرض. ولحضور برج بابل في المكان ، مقابل "إنمحاء" أثر خيمة الاجتماع من المكان ، وعدم وجود أي أثر يدل على أي علاقة للهيكل المزعوم في المكان. وكذلك للحضور البابلي المتجذر في المكان مقابل الشتات اليهودي الذي قطع كل صلة له بالمكان.

علاقة العمارة بالمكان يسميها المعماري اليهودي بيتر ايزنمان "بالجاذبية"[٤٢] Gravity ، وهي علاقة غير قائمة بين خيمة الاجتماع والمكان ، ولا بين الهيكل المزعوم والمكان. الصنمية والجاذبية يصفهما أيزنمان بالحالة المقدسة والميتافيزيقية في علاقة العمارة بالمكان ، بل في العناصر المعمارية مثل الأعمدة المقدسة ، والأعمدة الكلاسيكية ، ذات الصلة بالجسم البشري ، والهياكل التي تحوي تماثيل للإلهة ، وكذلك في المديول والنسب ، وفي الثنائيات المعمارية مثل: الشكل والوظيفة ، الداخل والخارج ، التجريد والتجسيم ، الفراغ والمصمت (الصلد أو الصلب)، وبالجملة في جميع البنى والتراكيب المعمارية المتواضع عليها والمستقرة في الوعي والوجدان المعماري العالمي.

ويعتقد أيزنمان أن القضاء على أو إلغاء هذه البنى والتراكيب المعمارية سيحرر العمارة من "النظام المرضي والقمعي السائد فيها". سيلغي صنميتها وقواعدها التنظيمية وقبولها الاجتماعي ، فعمد أيزنمان وبعض المعماريين لليهود: كفرانك جيري ، وتوشيمي ولبسكانيد وتايجرمان وغيرهم ، منذ ثمانينيات القرن الماضي على تطوير أشكال معمارية تعبر عن عالم بدون نظام. بها أجزاء من أشكال يصطدم بعضها ببعض بصورة غير مكتملة وعلى غير هدى أو نظام. أشكال "حركية (ديناميكية)" مبعثرة غير متزنة أو متوازنة ، وبدون ارتكاز واضح في المكان ، متداخلة بصورة عشوائية ، وبدون تكوين واضح يؤدي إلى شكل منتظم سكوني (استاتيكي) يمكن إدراكه واستيعابه ، لأن الأشكال المنتظمة (الصنمية) طبقاً لدريدا وايزنمان عمل مخادع وغير حقيقي ، ومحاولة سطحية وبائسة لتنظيم عالم لا معنى ولا بناء موضوعي له. وأن كل الأعمال المعمارية السابقة لم تسفر إلا عن خلق نظام اصطناعي ، كان نتاج نزوات وأفكار مخجلة. وإنه من الصدق ، كما يقول أيزنمان ، أن نعبر عن حالة الفوضى التي نعيشها بأشكال معمارية لاصنمية ، فوضوية ، ومبعثرة ، تعمل على عدم تحقيق "الراحة لمستعمليها" ، وتفرض عليهم أن يتعايشوا مع الفوضى ، والقلق ، والتناثر والبعثرة ، الذي تفرضه هذه الأشكال على المستعملين والمشاهدين لها بصورة مباشرة. وبهذا يمكن تخليص العمارة من التزاماتها الاجتماعية والأخلاقية والجمالية ، لأنها عوامل خارجية يتوجب ، طبقاً لأيزنمان ، تحرير الأشكال المعمارية من سطوتها وحضورها ، وتخليص العمارة من ثنائياتها ، وصنميتها ، وتحريرها من حالة الجاذبية التي تربطها بالأرض ، لنفي أو على الأقل تسطيح ، علاقتها بالمكان.

ومن الوسائل التي يمكن بها تخليص العمارة من العوامل الخارجية المؤثرة عليها هو تحويلها إلى نص كتابي[٤٣] ، وبهذا يمكن تخليصها من معانيها ودلالاتها الرمزية ، وتحويل المفردات (العناصر) المعمارية إلى علامات "فتتحول الرؤيا من الشكل إلى العلامات" ، فيتم التركيز على العلامات وليس على الرموز المعمارية. وبهذا التحويل تتخلص العمارة من قيود المحاكاة وتقليد الجسم الإنساني ومن التماثل والمحورية ، لأن العمارة شيء مستقل ذات مرجعية ذاتية ، فتتخلص بذلك من الصنمية (الأشكال المنتظمة) ، التي تمثل معاني واضحة للقوة والحضور. وتخليص العمارة منها يتوجب تحويل العلامات إلى حالة متداخلة وغامضة بين القوة واللاقوة ، بين الحضور والغياب ، بين اليقين واللايقين ، حتى تصبح العلامة تمثل الشيء ونقيضه ولكنها ليست الشيء المتواضع عليه ، أي وضع العلامة (العناصر المعمارية) في حالة بين البينين[٤٤] ، كالعمود المعلق بالسقف والغير مرتكز على الأرض. حالة بين البينين تنفي عقلانية العمارة وتقطع الصلة بالقيم ، والمألوف ، والمتواضع عليه ، والمستقر معناه ، وتفرض مفهوم الغياب ، وتلغي المادة وحضورها ، أي لا تكون مواد البناء معبرة عن حقيقتها ويتم تجريد العمارة من مكوناتها فتفقد شكلها ودلالات عناصرها ومن ثم معناها.

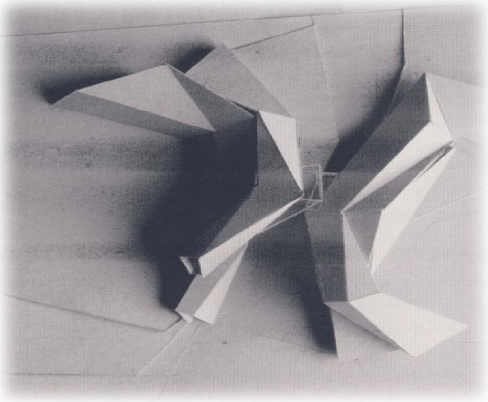

صورة (رقم – ٦)

مجسم لمكتبة لاهيوي – جنيف ، سويسرا ١٩٩٧ – للمعماري الأمريكي اليهودي بيتر أيزنمان ، محاولة جريئة لتطبيق نزعة التفكيك على مباني التعليمية وظف فيها جميع تقانات التفكيك مع التركيز على تقانة الطوي واللاصنمية

إن تحويل العمارة من مادية إلى لامادية متناثرة ومبعثرة[٤٥] يفقدها معناها المتواضع عليه، وحضورها "الصنمي" كما يسميه أيزنمان، وتنتفي أو تتسطح علاقتها بالمكان. ولا مادية العمارة (التناثر والبعثرة) تتحقق بتكسير الحيطان ومنع تواصلها واستمرارها، فتتناثر وتتبعثر عناصرها المكونة لها في الشكل المعماري. وكذلك من خلال إهمال شبكيات التصميم (المديول) وعدم توظيفه في التصميم، وثني الحيطان وطويها، وتغيير أشكال الشبابيك والأبواب وباقي العناصر المعمارية. فتصبح العمارة كخيمة الاجتماع تطوى وتفقد حضورها في المكان، ومن ثم تفقد ماديتها وميتافيزيقيتها، وتتبعثر مكوناتها، وتفقد آلية وتراتبية إنتاجها.

فالطوي يعني نفي الحضور، ونفي مفهوم البناء التقليدي، ونفي القدسية المتمثلة في الخطوط الأفقية والرأسية، كما ينفي مفهوم الجاذبية وعلاقة العمارة بالمكان. وهذا بدوره يعزز فقدان العمارة لشخصيتها البصرية، ويقضي على نظام العلامات في بنيتها. والطوي مفهوم خاص بخيمة الاجتماع رافق اليهود في تيههم، كما أنه حالة تعبر عن عدم الاستقرار في المكان، فهو إسقاط لحالة الشتات اليهودية التي ترفض أي مفهوم فراغي له علاقة بالمكان. والطوي رفض "للمقدس"، أي رفض للبنى والتراكيب المتواضع عليها، أي رفض للصنمية كما يسميها أيزنمان، وهذا يحتاج إلى قراءة خلاقة لفهمه.

والقراءة الخلاقة[٤٦] تعكس تفسير جديد، ليس له وجود سابق، للعمارة المطوية واللامادية. لأن هاتين التقانتين التفكيكيتين تخلقان تنظيماً جديداً لأشكال المباني مغاير ومخالف للبنى والتراكيب الصنمية المقدسة، أشكال غير مألوفة أو معروفة أو مكتملة التكوين. هذه الأشكال التي تعبر عن العناصر المعمارية ونقيضها، لا تشكل كياناً أو شكلاً معمارياً قائماً بذاته، محدداً ومعروفاً، بل تكون أشكالاً عدمية، مبعثرة العناصر المكونة لها، غير مفهومة أو مقروءة، الأمر الذي يتطلب توظيف قراءة خلاقة تكشف "الأسرار الفراغية" للأشكال العدمية الناتجة عن عملية التفكيك.

صورة (رقم -٧)

مجسم كنيسة العام ٢٠٠٠ – روما – للمعماري الأمريكي اليهودي بيتر أيزنمان، محاولة جريئة لتطبيق نزعة التفكيك على مباني العبادة المسيحية وظف فيها جميع تقانات التفكيك مع التركيز على تقانة الطوي واللاصنمية

هذه العدمية الباطنية[٤٧] ستستمر في تدمير الآلية والتراتبية[٤٨] للبنى والتراكيب المعمارية المتواضع عليها، وإنتاج عمارة مبهمة، فوضوية، عديمة الدلالات، ضبابية[٤٩]، ناقصة التكوين ومرجأة الاكتمال. فالضبابية تعمل على إضعاف الحضور (حضور العناصر المعمارية) من أعلى درجاته إلى أدناها، فتجعل الشكل المعماري ومكوناته في حالة بين البينين كما في الصور رقم (٩-١١). فالبناء يوحي بأنه شكل معماري كما يوحي بأنه كوم من ركام ناتج عن دمار، والفتحات توحي بأنها شبابيك ولا شبابيك في ذات الوقت، والحيطان متنية ومطوية وكأنها تعرضت لزلزال، وكذلك باقي عناصر المبنى. والضبابية تهدف إلى تجاهل الطريقة التقليدية في الإدراك الجمعي، وتعمل على مسح وإلغاء الآلية والتراتبية التي تدرك بها المعاني من خلال علاماتها (عناصرها المعمارية) وأشكالها مجتمعة. وتعمل على تغييب حضورها بفرض تقانات التفكيك كالطوي والضبابية وبين البينين ليصل الشكل المعماري إلى حالة العدمية، نتيجة لعدم قدرة المُبْصِرْ على إدراك الشكل (المُبْصَرْ) مجتمعاً بل جزئياً وبدون قياس على سابق معرفة بعناصر ومكونات الشكل.

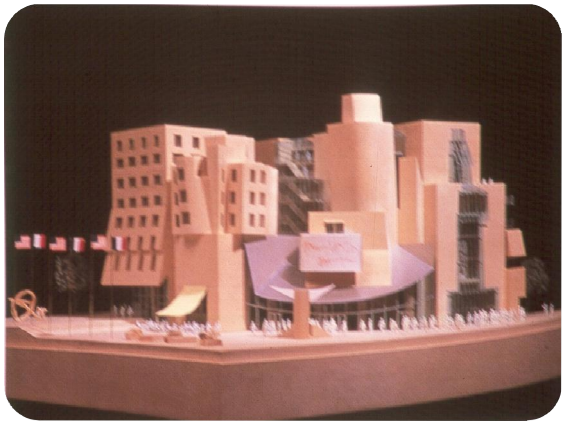

صورة (رقم – ٨)

المركز الأمريكي – باريس– للمعماري الأمريكي اليهودي فرانك جيري محاولة تفكيك تظهر تقانة الطوي وبين البينين واللاصنمية

والعدمية الباطنية هي دحض وتفنيد ورفض الوضوح الفكري والمادي والعملي والفني، هي مرحلة عدم الالتزام بالمركز والمحاور والإحداثيات والشبكيات. وهي خلق حالة من الاختلاف بين الداخل والخارج، ورفض العناصر المعمارية التقليدية كالأعمدة والحيطان. وعدمية أيزنمان (التفكيك) هي عدمية فرقة القبالاة اليهودية التي تحمل في ذاتها المظاهر الخفية للإله، وتحل محله. وهي العدمية التي تلغي وتبطل التوجه المادي، والميتافيزيقي، والأخلاقي، للعمارة (للصنم)، من خلال تغييب حضورها، وحضور عناصرها المكونة لها، باستعمال تقانات: الطوي، واللامادية والبعثرة، والضبابية، والشتات، وقطع الصلة بالمكان، ونفي الموضعة الحضرية للعمارة في المكان.

وبهذا يتضح أن هدف أيزنمان وغيره من المعماريين اليهود المشتغلين بالتفكيك هو تدمير وتقويض العمارة المعاصرة والمحلية والقومية في العالم لإفقادها معناها وقيمتها، لأن بناها وتراكيبها تنتمي إلى عالم غير يهودي، ولأن اليهود لا عمارة لهم على أرض الواقع، ولكنها مرجأة، منتظرة وقادمة، حسب زعمهم.

العمارة القادمة[٥٠] عند دعاة التفكيك من اليهود، كما بينت سابقاً، حالة مرجأة مرتبطة بمرحلة التيقون (الإصلاح) ونزول الهيكل المزعوم حسب نبؤة حزقيال، فتكتمل بنى وتراكيب العمارة، وتنتهي نزعة التفكيك التدميرية التقويضية ومفرداتها وتقاناتها التي تختزل العمارة الحضرية الثابتة والسكونية ("الصنمية")، فكرياً، وتقانياً، وبصرياً، وتعيدها إلى مرحلة البداوة، إلى المرحلة التي تعايش اليهود فيها مع خيمة الاجتماع، حيث لا صنمية ولا شخصية بصرية، حيث الطوي واللامادية والبعثرة، وانتفاء الشبكيات ، حيث لا جاذبية ولا آلية ولا تراتبية، حيث الشتات وانعدام الصلة بالمكان. وباختصار حيث العدمية الكاملة للبنى والتراكيب المعمارية المتواضع عليها، العدمية التي تختصر العمارة العالمية وانجازاتها في خيمة الاجتماع.

صورة (رقم - ٩)
مركز صحة الدماغ — لاس فيغاس ٢٠٠٩ — للمعماري الأمريكي اليهودي فرانك جيري ، محاولة حديثة لنزعة التفكيك تظهر جميع تقانات التفكيك

واللافت أن جميع مفردات نزعة التفكيك التدميرية التقويضية الهدمية التي عرضت لها ما هي إلا تقانات تعبر عنها، وتصف واقع حال خيمة الاجتماع من ناحية معمارية، وكذلك عن انعكاساتها الاجتماعية. وما ينطبق على العمارة ينطبق على كل المنظومات الدينية والأدبية والفكرية والفلسفية، التي يجب أن يفرض عليها مفهوم الإرجاء. وإذا كان الإرجاء ينتهي في العمارة بنزول الهيكل المزعوم، فإن الإرجاء للمنظومات السابقة ينتهي بمجيء (الماشيح اليهودي) وليس (الميسيا المسيحي)، وعندها يمكن قراءة التوراة المكتوبة بالنار البيضاء، المختفية كلماتها تحت الكلمات المكتوبة بالنار السوداء. وكذلك يمكن قراءة توراة الفيض الباطنة التي تخفي معانيها وراء النصوص الظاهرة، التي لن يتمكن من قراءتها وتفسير معانيها الباطنة سوى الماشيح.

والجدير بالملاحظة أن العمارة القادمة المنتظرة (المرجأة) المرتبطة بنزول الهيكل المزعوم حسب نبؤة حزقيال، مشروطة ومرتهنة بمجيء الماشيح المخلص. أي إن الخلاص من النزعة التفكيكية شأن يهودي مرتبط بانتهاء شتاتهم ومجيء مخلصهم ونزول هيكلهم المزعوم، طبقاً لنبؤاتهم ورؤاهم.

صورة (رقم — ١٠)
مركز صحة الدماغ — لاس فيغاس ٢٠٠٩ — للمعماري الأمريكي اليهودي فرانك جيري ، محاولة حديثة لنزعة التفكيك تظهر جميع تقانات التفكيك

صورة (رقم — ١١)
مركز صحة الدماغ — لاس فيغاس ٢٠٠٩— للمعماري الأمريكي اليهودي فرانك جيري ، محاولة حديثة لنزعة التفكيك تظهر جميع تقانات التفكيك

خاتمة

عرضت هذه الدراسة لنزعة التفكيك في العمارة، فبينت مصدرها التلمودي القبالي اليهودي. ووضحت أنها نزعة إنتقامية، تقويضية، تدميرية، توظف النقد لتفسير النصوص: الدينية، والأدبية، والفكرية، والفلسفية، ونصوص الأدب المعماري، والمنظومات الفكرية الأخرى تفسيرا تقويضياً هدمياً للمعاني والمفاهيم التي تضمنها نصوص المنظومات المشار إليها لتدمير النظم العقدية والعقائدية والمعرفية. وذلك على قاعدة أن النص يجب أن لا يستقر على تفسير محدد، بل إلى تفاسير متعددة، متناثرة، مبعثرة، ولانهائية. وبينت الدراسة أن هذه النزعة تفتقر إلى بناء فكري يوضح مضمونها وإلى تعريف يحدد هذا المضمون.

وركزت الدراسة على المفردات التفكيكية المستعملة في تقويض وتدمير وهدم العمارة فكراً وممارسةً، كالاختلاف والإرجاء، والآثر، والحاضر الغائب، والطوي، وبين البينين، والضبابية، والجاذبية، واللامادية، والتناثر والبعثرة، والعدمية ...ألخ. وعرضت لجذورها التلمودية والقبالية اليهودية، ووضحت ارتباط، وتوطن، كل مفردة منها باللاهوت اليهودي، المعبر عنه بالحالات الثلاث التي ترسم علاقة "الشعب" (الجماعات اليهودية) مع الإله اليهودي وهي: الانكماش-وحدة الإله مع "شعبه"، تهشيم الأوعية — الشتات اليهودي، الإصلاح — إعادة وحدة الإله مع "شعبه".

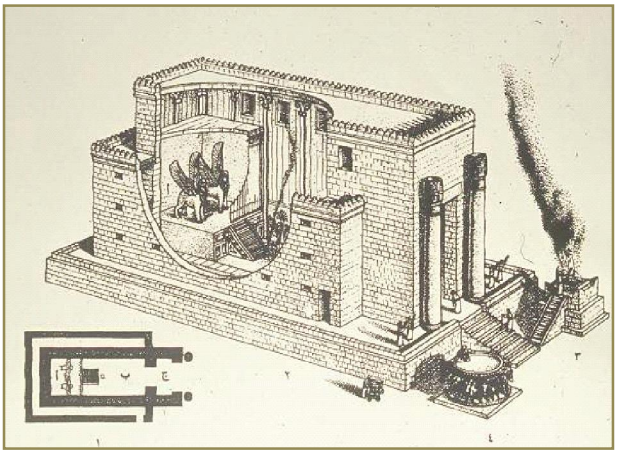

صورة (رقم — ١٢)
تصور للهيكل المزعوم — حسب نبؤة حزقيال
العمارة القادمة أو المنتظرة — عمارة المكان — العمارة الصنمية
طبقا لنزعة التفكيك

كما وضحت ارتباط هذه المفردات بمفهوم الخلاص المثمثل بمجيء الماشيح اليهودي. وأن آلية عمل كل منها في عملية التقويض والتدمير والهدم، مستمرة حتى تحقيق وهم الخلاص. الذي لن يتحقق بالعمارة إلا بنزول الهيكل المزعوم، الذي يمثل العمارة المكتملة التكوين والمنتظمة الشكل، حسب زعم التفكيكيون. وخلصت الدراسة من كل ما سبق عرضه وتقدم ذكره إلى وضوح ارتباط التفكيك باللاهوت اليهودي، وتحديداً بالحاخامي التلمودي والحلولي القبالي.

وأتساءل هنا، أليس من المعيب أن ننتسب إلى الحضارة العربية الإسلامية، القائمة والمنتشرة في المكان والمستمرة في الزمان، وأن نخضع منظوماتها وظواهرها: الدينية، والأدبية، والفكرية، والفلسفية، والمعمارية، والفنية، إلى المفاهيم التلمودية والقبالية اليهودية!؟ وهل يستقيم في العقل السليم أن يرتهن وعينا، ويرتبط مصير ثقافتنا، بعد كل ما حققته على مدى ١٤ قرناً ونيف "بمفهوم الخلاص اليهودي"!؟ وهل يستقيم في العقل السليم أن نخضع عمارتنا العربية الإسلامية، التي مورست بأرقى منهجيات التصميم المعماري، وهي منهجية الأحكام (بعد كل ما حققته من حضور نظري وفكري وفني وبصري) إلى تقانات التفكيك ونعيدها إلى ما كانت عليه خيمة الاجتماع!؟ وهل يستقيم في العقل السليم أن ندمر كل بناها وتراكيبها وننتظر مع اليهود "العمارة القادمة" "المكتملة" بنزول الهيكل المزعوم!؟

وختامًا أوصي لتجاوز هذا الواقع المؤلم باقتباس من المفكر الأردني إبراهيم العجلوني: "لا يجوز أن يظل عقلنا الأكاديمي مشغولاً بترويج مفاهيم الآخرين، وأن يظل عقلنا السياسي مرتهن لها، وأن يظل وعينا جملته مأسوراً بما يوضع له من حدود، وسدود، وقيود، وأن يظل يراوح فيما خصص له من آفاق لا يجوز له مغادرتها". لقد آن الأوان أن نستنهض وعينا، وأن نستعيد دورنا الحضاري، فهل من مستجيب؟ هل من مستجيب؟ هل من مستجيب؟

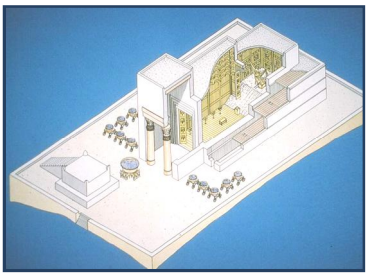

صورة (رقم — ١٣)
تصور آخر للهيكل المزعوم
حسب نبؤة حزقيال

الهوامش:

١-أنظر: دريدا، جاك، (١٩٨٨)، الكتابة والاختلاف، ترجمة كاظم جهاد، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ص:٥٧-٦٣.
See: Norris, C., Jacques Derrida In Disscussion with Christopher Norris, AD, vol 58,issue No., ½, pp.:7-11.
٢-أنظر: دريدا، المرجع السابق، ص:٢٥-٦٣.
See: Norris, C., Former reference.
:أمينة، غصن، دكتورة، (٢٠٠٢)، جاك دريدا في العقل، والكتابة، والختان، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، ص:٩-٧٢.
٣-أنظر: دريدا، الكتابة والاختلاف، مرجع سابق، ص: ٣٠، ٥٣.
See: Norris, C., Former reference.
: المسيري، عبد الوهاب، دكتور، (١٩٩٩)، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ٨ أجزاء، دار الشروق، القاهرة، ج٥\٤٢٥-٤٢٦.
٤-البازعي، سعد، دكتور، (٢٠٠٧)، المكون اليهودي في الحضارة الغربية، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، ص:١٠٠-١٠١، ٢٠٢-٢٠٨.
٥-أنظر:المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرجع سابق، ج٥\١٨٦، ١٧٨، ٤٢٢-٤٣٢.
٦-أنظر: المرجع السابق، ج٥\١٥-٢٩
٧-أنظر: المرجع السابق، ج٥\٢٧-٢٩
٨-أنظر: المرجع السابق، ج٥\٢٧-٢٩، ٩٩
٩-أنظر: المرجع السابق، ج٥\١٢٤-١٥٠
١٠-أنظر:المرجع السابق، ج٥\٤٥
١١-أنظر:المرجع السابق، ج٥\٣٠-٦٢
١٢-أنظر: المرجع السابق، ج٥\٥١-٦٢
١٣-أنظر: المرجع السابق، ج٥\١٦٣-٢٠٠
١٤-أنظر: البازعي، المكون اليهودي في الحضارة الغربية، مرجع سابق، ص: ١٦٥-٣٠٨
١٥-أنظر: المرجع السابق
١٦-أنظر: المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرجع سابق، ص: ٣٥، ١٠٠، ٤١٥-٤٢٢.
١٧-أنظر: المرجع السابق، ج٥\٩٩
١٨-أنظر: المرجع السابق، ج٥\٩٩، ١٦٤
١٩-أنظر: المرجع السابق، ج٥\١٨٦-١٨٧
See: Tigerman, S. (1989), Architectural Antinomies and a Renewed Beginning, Construction, (De) Construction,
(RE) Construction, AD, vol., 58, Issue, 1\2, pp.: 77-88
See: Tzimtzum, from Wikipedia, the free encyclopedia,published in the Internet, 13\09\2009: http://en.wikipedia.org/wiki/Tzimtzum

20- أنظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، مرجع السابق ، لمعرفة المدراش ، ج١٤٣\٥ ، ولمعرفة تفسير المدراش لحالة الانكماش ، أنظر: ج١٨٦\٥.

لمعرفة غرفة قدس الأقداس وكرسي الرحمة ، أنظر: العابد ، بديع ، دكتور ، (٢٠٠٩م)، الهوية المعمارية لمدينة القدس — قبة الصخرة أَمْ الهيكل المزعوم ، منشورات وزارة الثقافة ، عمان ، ص: ٢٥-٢٦ ، ٣١.

٢١- أنظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، مرجع السابق ، ج١٧٥\٥.

٢٢- أنظر: المراجع في الهامش رقم ١٩

٢٣- أنظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، مرجع السابق ، ج٥١\٥-٥٧ ، ١٣٨-١٣٩ ، ٣٨٢-٣٨٨ ، ٣٩٨ ، ٤٤٣-٤٤٤.

٢٤- أنظر: المراجع في الهامش رقم ١٩

٢٥- أنظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، مرجع السابق ، ج١٧٨\٥.

See Gematria, from Wikipedia, published in the Internet, 13\09\2009: http://en.wikipedia.org/wiki/Gematria

٢٦- أنظر: العابد ، بديع ، الهوية المعمارية لمدينة القدس — قبة الصخرة أَمْ الهيكل المزعوم ، مرجع سابق ، ص: ٣٠-٨٣.

٢٧- أنظر:

See: Eisenman, P., & others, (2003), Blurred Zones, Investigations of the Interstitial, The Monaceili Press, N.Y. pp.: 6-9, 94-101,

:Eisenman, P., (2007), Written Into The Void, Yale University Press, Blurred Zones, pp.:108-112

:Klein, R., (2009), The End Of Millennium, Deconstruction & Around, Published in the Internet, 09/02/2009, pp.1-24, http//:www.tau.ac.il/arts/arthistory/ARCH/12-THEORY-MIL.htm

٢٨- أنظر: المسيري ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، مرجع السابق ، ج٧٥\٥.

٢٩- أنظر: العهد القديم (التناخ)، سفر الخروج (١٩:٥)، وسفر حزقيال (٢١:١١). : المسيري ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، مرجع السابق ، ج٧٦\٥-٧٧.

٣٠- أنظر: داروين ، تشارلز ، (١٨٥٩م)، أصل الأنواع ، ترجمة إسماعيل مظهر ، مكتبة النهضة ، بيروت- بغداد ، بدون تاريخ نشر ، ص: ١٩٠-٢٢٣.

٣١- أنظر: الهامش رقم: ١٩

32- Goldman-Ida, B. Black, (1998), on White — A Remembrance of Jerusalem- (Kuhnel,B. edit.), published in Real and Ideal Jerusalem, The Hebrew University, Jerusalem, , p., 203-206

٣٣- هذه المفردات متوطنة في اللاهوت اليهودي ، وبصورة خاصة في الكتب الدينية ، كالتلمود ، وكتاب القبالاة الزوهار ، وكتاب المدراش. وإن كانت أكثر شيوعاً في الزوهار. وقد أشار إليها المسيري في موسوعته كما بينت في الهامش رقم ١٩. ثم وظفها دريدا في نزعته التفكيكية ، ثم تبعه المعماريون اليهود ووظفوها في نزعة التفكيك التدميرية التقويضية الهدمية. أنظر: دريدا ، الكتابة والاختلاف ، مرجع سابق. المراجع في الهامش رقم ٢٧ ، خاصة المرجع الأخير ، وكذلك في كل كتابات أيزنمان التي أشرت إليها والتي سأشير إليها لاحقاً.

34- See: Eisenman, P., & Krier L., (1989), My Ideology is Better than yours, AD, vol. 59, issue No., 9/10, pp.:7-18.

35- Ibid, p.7

36- See: Eisenman, P., (2007), Written Into The Void, Yale University Press, pp.: 13-17

Eisenman, P., & Others, (2003), Zones of Undecidability I, Published in Blurred Zones, Investigations of the interstitial, The Monaceili Press, N.Y, pp.: 258-260.

Eisenman, P., (1988), The Blue Line Text, published in AD vol.58, No., 7/8, pp.:6-9.

Klein, R., (2009), The End Of Millennium, Deconstruction & Around, Published in the Internet, 09/02/2009, pp.1-24, http//:www.tau.ac.il/arts/arthistory/ARCH/12-THEORY-MIL.htm

Klein, R., (2009), Is It Possible To De-Idolise Architecture, part II, Published in the Internet: pp.: 1—4.

file:///C:/Users/Badi%20Al-Abed/Documents/Deconstruction/2THEORY-INTR.htm

37- أنظر: العابد ، بديع ، دكتور ، (٢٠٠٨)، المركز التقليدي لمدينة القدس بين التواصل والتقويض ، منشورات الدائرة الثقافية بأمانة عمان ، ص:٢٨- ٣٩.

38- See: Eisenman, P., & Others, Zones of Undecidability I, published in Blurred Zones, Investigations of the interstitial, former reference, p.:259

See: Tigerman, S. Architectural Antinomies and a Renewed Beginning, former reference, 77-80.

See: Eisenman, P., (1988), En Terror Firma: In Trails of Grotextes, published in AD vol 58, No., 7/8, pp.: 40-43.

See: Klein, R., The End Of Millennium, Former reference, p.:15

39- See: Klein, R., (2009), Is It Possible To De-Idolise Architecture, Part II, former reference, pp.: 1-4

Klein, R., (2009), Is It Possible To De-Idolise Architecture, part III, Published in the Internet, pp.: 1-7

File://localhost/C:/Users/Badi%20Al-Abed/Documents/Deconstruction/2.mht

40- See: Eisenman, P., & Others, Folding In Time, published in Blurred Zones, Investigations of the interstitial, former reference, pp.: 130- 133.

Eisenman, P., (2007), Written Into The Void, former reference, 13-18, 25-41.

Klein, R The End Of Millennium, Deconstruction, former reference, pp.: 11-12

41- See: Deconstruction.eu, (2009), published in the Internet, p.:4 http://www.deconstruction.eu

Eisenman, P., Written Into The Void, former reference, p.:47

42- See: Eisenman, P., Written Into The Void, former reference, pp:35, 41.

43- See: Klein, R The End Of Millennium, Deconstruction, former reference, pp.: 6-7.

44- See: Eisenman, P., & Others, Investigations of the Interstitial, published in Blurred Zones former reference, pp.:94-101,

Eisenman, P., Written Into The Void, former reference, pp.:50 -72

Eisenman, p.,(1988), Blue Line Text, published in AD, vol.58, 7/8, pp.:6-9.

See: Benjamin, A.,(2003), Opening The Interstitial: Eisenman' s Space of Difference, Published in Blurred Zones, former reference, pp.:306-311.

Klein, R., The End Of Millennium, former reference, pp.:7-8,14-15.

45- See: Klein, R., The End Of Millennium, former reference, p.:10-11. See : also notes No., 39, 40.

46- See: Klein, R., The End Of Millennium, former reference, p.14

47- See: Ibid., pp.: 16-19.

48- See: Ibid., pp.:15-16.

49- See: Eisenman, P., & Others, Investigations of the interstitial, published in Blurred Zones former reference, pp.:6-9, 258-261, 286-289.

Eisenman, P., Written Into The Void, former reference, pp.: 108-117.

٥٠- أنظر: المراجع في الهامش رقم ٢٧